

فنان ولد قبل زمانه

(في ذكرى وفاة الفنان أحمد قاسم)

أشرف جرجره

كان الفنان الراحل عبدالرحمن باجنيد يردد دائماً أن الفنان أحمد قاسم ولد قبل زمانه. ويشرح مايعنيه أن الفنان المرحوم أحمد قاسم لم يتبوأ المكانة المرموقة والاستحقاق اللازم من قبل الدولة للتفرغ كموسيقيار عبقرى محترف في عدن. وكسائر الفنانين في تلك الحقبة من الزمن إنشغل في البحث عن الوظيفة سعياً وراء لقمة العيش.

رأيت الفنان المرحوم احمد قاسم لأول مرة في حارتنا حافة حسين في كريتر، عدن. وكان يقود فرقة موسيقية من مدرسة بازرة تعزف بالآلات نحاسية، جأت لتحي حفلاً موسيقياً في الحارة. وكان أحمد يعزف آلة البوق. وتتلذذ حينها على يد الفنان الراحل يحي مكي. وكما تبين لاحقاً أن الراحل أحمد قاسم لم يتفوق موسيقياً على معلمه فحسب بل كرس حياته كلها للموسيقى. أبدع مبكراً في التلحين والاداء والتوزيع الموسيقي. وبنى موسيقاه على دراسة وعلم. وكان مثابراً دائماً ما يصبو الى الاتقان والكمال.

ورغم نشأته الفقيرة وعزيمته الجبارة تمكن من السفر الى مصر لدراسة أصول الموسيقى. وهناك تم صقل موهبته وتشرب بالطابع الموسيقي المصري الذي طغى على بعض مؤلفاته ومعزوفاته الموسيقية. ودرس العزف على الآلات الموسيقية المختلفة كالبيانو بالطرق السليمة. وبرز في العزف على العود المنفرد والتقاسيم. واصبح اسرع عازف على العود على مستوى الجزيرة العربية. ودائماً ما كان يستعرض قدراته في العزف المنفرد في حفلاته الموسيقية.

أسس الراحل فرقة موسيقية في الخمسينات بمعزل عن فرقة ندوة الموسيقى العدنية. وكان من أعضائها الفنان الراحل عبدالرحمن باجنيد والفنان الراحل محمد عبده زيدي والفنان محمد سعيد منصر الذين أنفردوا عنه لاحقاً ليصبحوا فنانين ناجحين لا يستهان بهم. وادخل من الآلات الموسيقية آلة الارمونية التي تستعمل في الاغاني الهندية. وأشتهر الراحل وفرقته بتقديم الحان "كدلا بنفسك دلا" وغيرها من الاغاني الشعبية العدنية التي نافست ألحان الفنان الراحل خليل محمد خليل في الخمسينات والذي كان متربعا على عرش الطرب بقيادة ندوة الموسيقى العدنية. وأسكت الفنان الراحل أحمد قاسم منتقديه بتسجيل لحن ذي طابع فولكلوري يمني باسم "هرو بجا الليل". وأشتهرت الاغنية وذاع صيتها، واعتبرها الاخوان في الشمال اليمني سبة وتشهيراً بهم.

التقيت بالفنان الراحل للمرة الثانية في إذاعة عدن. وتعرفت عليه عن قرب. وتكونت بيننا علاقة صداقة حميمة بحكم مناصبي الاذاعي كرئيس لقسم الموسيقى في مطلع الستينات. وعين الراحل آنذاك مساعداً لي ومستشاراً في الشؤون الموسيقية.

كان الفنان الراحل كريماً بطبعه، محافظاً على طلعتة ومظهره، متواضعاً في سلوكه، مسرفاً في إطلاق العنان لنزواته وغرائزه الشخصية. كاد أن يصبح غنياً من عوائد دخله من الحفلات الموسيقية وتسجيلاته في إذاعات الكويت والسعودية وقطر.

حاول الارتقاء بمستوى العزف الموسيقي وتوزيع الالحان إلا أن إيمانه وعزيمته كانتا تصطدمان بالواقع الموسيقي الاليم خلال تلك الفترة. ولذا كان دائم السفر الى الخارج لتسجيل أغانيه والحانه في استديوهات لديها فرق موسيقية محترفة تبرز ثراء النغم والايقاع والصوت. وأذكر أنه كان طموحاً لا تعيقه عائقه. إذ رهن وصرف الكثير من المال والوقت في إنتاج فيلمه الاول والاخير "حبي في القاهرة". وتبنى إستضافة الفرقة الماسية الموسيقية المصرية المحترفة لاحياء حفلات موسيقية في سينما حقات في عدن بقيادة الراحل أحمد فؤاد حسن والمطرب محرم فؤاد.

التقيت به في المرة الثالثة والاخيرة في الدوحة بدولة قطر في أواخر الثمانينات. وكنت أعمل حينها رئيساً لوحدة وسائل الايضاح السمعية والبصرية في مؤسسة حمد الطبية. وكان الراحل في زيارة لتسجيل أغان لراديو قطر تلبية لدعوة من مديرها آنذاك عبدالرحمن المعضادي ، وهو أحد محبي الفنان الراحل أحمد قاسم. وقد أهداني الراحل تسجيلاً لاغانيه مع الفرقة الموسيقية التابعة لإذاعة قطر. وحضرت حفلاً موسيقياً ساهراً للمرحوم أقيم للجالية اليمنية في سينما الخليج في الدوحة. وصاحبته الفرقة الموسيقية الكاملة التابعة لإذاعة قطر.

علم الراحل أحمد قاسم خلال إستضافته في الدوحة أنني لاعب تنس أرضي. تحداني في مباراة على ملاعب فندق الخليج الذي كان يقيم فيه. ورغم إصراره على مبارزتي، خسر الرهان. وكان عذره أنه لم يمارس اللعبة لفترة طويلة.

كانت تلك هي المرة الاخيرة التي التقي به.

رحم الله الفقيد الراحل أحمد قاسم وإنا لله وأنا اليه راجعون.